القاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية - السياسية

الدكتور
فاروق عمر
قسم التاريخ

مقدمــة :

لم تلق ظاهرة الالقاب الرسمية والنعوت الشخصية عناية كبيرة من قبل المؤرخين المحدثين فلم يكتب فيها الا عددا قليـلا منهـم حيث كتب جولد تسهير عن « مغزى لقب ظل الله وخليفة الله » ، وكتب ماركوليوث عن معنى «لقب خليفة» وتطرق فان فلوتن في مقالته « فى التاريخ العباسى» الى القاب الخلفاء العباسيين الاوائل • كما حاول كل من دى خويه أمندروز ان يفسرا لقب « السفاح » • ثم كتب البروفسور برنارد لويس مقالة قيّمة عن الالقاب الرسمية للخلفاء العباسين الاوائل[١] •

اما المؤرخون العرب فربما مروا مسرعين عـلى هذه الالقـاب دون الاهتمام بتفسير دلالاتها او قد يتوقف بعضهم قليلا ليكتب شيئا بسيطا عنها • اما كتاب حسن الباشا عن (الالقاب الاسلامية) فهو كتاب عام شامل ولهذا فهو لا يتعمق فى هذه الالقاب ولا يشبعها نقدا وتحليلا[٢] •

ولعل سبب عدم الاهتمام بهذه الظواهر الحضارية والمظاهر الرسمية التى تتصل بالاصول والمراسيم هو قلة معلوماتنا عنها وخاصـة فى بدايات القرن العشرين • اما الآن فان المصادر الاصيلة ذات الاهتمامات الحضارية بدأت بالظهور مثل كتب ابن حمدون والقلقشندى والصابىء والجـاحظ وغيرهـا حيث زاد اهتمام المؤرخين بمـا فيهـــا من معلومـات عن النظـم والحضارة •

كانت الحياة الاجتماعية والسياسـية فى القـرن الاول الهجـرى (السابع الميلادى) بسيطة غير معقدة ولذلك لم يشعر الخلفاء الراشدون

او الامويون بحاجة الى اتخاذ الالقاب ، رغم ان بعض المؤرخين يشير الى القاب ونعوت لعدد من خلفاء بني أمية . يقول القلقشندى[٣] « فذكر القضاعى فى عيون الاخبار ان بنى امية لم يتلقب احد منهم بالقاب الخلافة وانما ابتدأ ذلك فى الدولة العباسية . وحكى عن ابن حزم ان قسما منهم تلقب بالقاب الخلافة . فكان لقب معاوية الناصر لحق الله ... وكان لقب مروان بن محمد القائم بحق الله » كما وتشير بعض الروايات الى ان عمر بن عبدالعزيز كان يلقب بالمهدي . ويؤكد ابن دحيّة نفس نظرة القلقشندى فيقول عن المنصور انه « اول خليفة لقب نفسه وهو ابو الخلفاء »[٤] . وفى رسوم دار الخلافة يقول الصابى « لم يتلقب احد من بنى امية فلما انقضت ايامهم وعاد الحق الى اربابه وظهرت الدولة العباسية ثبت الله اركانها واخذت البيعة لابراهيم بن محمد قيل الامام وتلقب الخلفاء الراشدون منذ لدن أبي العباس .. »[٥] ويقول ابن عذارى نقلا عن ابن حزم متأسفا على دولة الامويين مهاجما العباسيين : « وانقطعت دولة بنى امية وكانت على علاتها دولة عربية لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة انما كان سكنى كل امير منهم فى داره وضيعته التى كانت له قبل خلافته ولا كلفوا المسلمين ان يخاطبوهم بالعبودية والملك ولا تقبيل يد ولا رجل »[٦] .

نستنتج من كل ذلك بان اتخاذ العباسيين لالقاب رسمية سلطانية خاصة كان ظاهرة جديدة لم يسبقها اليهم الخلفاء الامويين او الراشدين . ورغم ان اغلب الظواهر اتى ابتدعها العباسيون فى الادارة والحكم والمجتمع يمكن ارجاعها الى اصولها الاسلامية او غير الاسلامية فى المجتمع العربى او الفارسى او البيزنطى فان ظاهرة الالقاب الخاصة هذه بدعة جديدة لم يكن لها سابقة لدى الخلفاء المسلمين او الشاهنشاه الفارسى أو الامبراطور البيزنطى .

وعلى ذلك فان تفسيرنا لهذه الالقاب يجب ان يأخذ منعطفات اخرى

تتصل بالظروف السياسية والدينية للثورة العباسية والدولة العباسية وخاصة في عصرها الاول .

ويمكن تقسيم الالقاب والنعوت التى شاعت فى تلك الفترة العباسية المبكرة والخاصة بالخلفاء العباسيين كالتالى :

(١) القاب رسمية عامة مثل امير المؤمنين ـ خليفة الله ـ ملك .

(٢) القاب رسمية خاصة مثل : الامام ، القائم ، المرتضى ، المنصور ، المهدى ، الرشيد . المعتصم بالله والخ .

(٣) القاب شخصية : مثل الاحول وهو لقب هشام ، والحمار والجعدى وهما لقبا مروان بن محمد والدوانيقى وهو لقب المنصور . والناقص وهو لقب يزيد الثالث الاموى . ولقب موسى بن الامين (بالشديد)[٧] ولقب ابن الهادى (الناطق بالحق)[٨] واراده ابوه ان يكون وليا لعهده بدل هارون الرشيد .

وليس يهمنا فى هذا المقام الالقاب الشخصية والالقاب العامة وانما سنتكلم عن الالقاب الرسمية الخاصة ذات الصفة التنبأيه المهدوية :

الالقاب الخاصة

لابد لنا من القول ، قبل البدء بذكر الالقاب الخاصة ، ان النصف الاول من القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى كان فترة مشحونة بالتنبؤات عن قرب ظهور (المهدى المنتظر) الذى سيملأ الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا وكانت هذه النبؤات تحفل بها كتب الجفر والملاحم والفتن. وكان من المألوف ان تتبنى كل ثورة على النظام القائم بعض هذه الشعارات والنبؤات وتروجها بين الناس لكسبهم الى صفها . وكان من هذه الثورات الثورة العباسية التى بدأ تنظيمها حوالى سنة ٩٨ هـ وفجرت سنة ١٢٩ هـ وحققت النصر النهائى سنة ١٣٢ هـ .

على ان الثورة العباسية لم تكن اول حركة تبنت هذه النبؤات كما انها لم تكن آخرها فى تاريخ الاسلام السياسى •

لقب السفاح :

وهو اللقب الذى يطلقه اغلب المؤرخين المحدثين على الخليفة العباسى الاول عبدالله بن محمد • وقد اختلف المؤرخون المحدثون فى تقدير هذا اللقب من ناحيتين الاولى من هو صاحب اللقب ؟ والثانية ما هى اهميته الحقيقية وما هو مغزاه ؟ ويعبر المستشرق أمندروز عن حيرته فى معرفة السبب وراء اعطاء ابي العباس هذا اللقب ولكنه يؤكد بان هذا اللقب كان معروفا فى ايام الخليفة وكان من جملة ألقابه[٩] • ويؤكد الاستاذ الدورى ان هذا اللقب ليس من القاب ابى العباس بل ان المؤرخين التبسوا بين عبدالله بن محمد وعبدالله بن علي فاعطوا لقب الاخير الى الاول • ويتفق البروفسور برنارد لويس مع الاستاذ الدورى فى هذا الشأن • اما الاستاذ حسن الباشا فيرى بانها من القاب الخليفة العباسي الاول ويرجح انها صفة مدح تتصل بالكرم والبذل والعطاء •

ولقد اختلف المؤرخون الاوائل كذلك حول هذا اللقب ، ومما هو جدير بالذكر ان المؤرخين الرواد كالجهشياري وابن حبيب والطبري واليعقوبي والدنيوري لا يشيرون بصورة عامة الى هذا اللقب بل انهم حين يتكلمون عن الخليفة العباسى الاول يشيرون اليه بكنيته « ابو العباس » •

ولعل المسعودي[١١] يعتبر من اوائل من اطلق لقب السفاح على ابي العباس ومن ثم تبعه المؤرخون المتأخرون • على ان هؤلاء المؤرخين يختلفون كذلك فى معنى هذا اللقب • أهو يعني الكرم والسخاء او انه كان يعني التقتيل والمجازر • اما الكوفي[١٢] فيظهر ابا العباس وكأنه الشخص الثائر المطالب بدماء آل البيت من الامويين • وهنا يجدر بنا ان نذكر بأن الخليفة أبا العباس نفسه استعمله فى خطبته الافتتاحية فى الكوفة

حين اعلن نفسه خليفة حيث قال لاهل الكوفة « ... فاستعدوا فأنا السفاح المبيح .. » ويؤكد دي‌خويه بأن أبا العباس كان يوعد الناس بالعطاء الكثير والسخاء الوفير ولم يكن يتوعدهم بالقتل والتشريد[١٣] . ونحن نؤكد هذا الرأي ذلك لان الخليفة اتبع قوله آنف الذكر بان قال « ... والثائر المبير » وهنا دون شك يكمن الانذار والوعيد .

ان هذا اللقب « السفاح » بمعنى الجزار يناسب عبدالله بن علي عم الخليفة ابى العباس اكثر مما يناسب الخليفة . فقد كان عبدالله بن علي والي الشام معروفا بطبيعته العنيفة وكذلك بالمجازر التى قام بها فى بلاد الشام ولذلك نلاحظ بأن ابن قتيبة والزبيري وصاحب مخطوط اخبار العباس واليعقوبي يسمونه (بالسفاح) . وبعد ان يذكر المقدسى مجازره فى الشام يقول بأنه كان يسمى (بالسفاح) ، كما وان المقدسى يشير الى الابيات التى يذكرها الكوفى ويعزوها الى ابي العباس على انها ابياتا قيلت فى حق عبدالله بن علي وليس فى حق عبدالله بن محمد ، وهذا فى رأينا اكثر قبولا[١٤] .

وعلى هذا فان الاقرب الى الصواب القول بأن عبدالله بن علي كان يلقب بالسفاح بمعنى الجزار ولكن المؤرخين المتأخرين ومن بينهم المسعودى وبعض روايات اخبار العباس حين كتبوا عن الدولة العباسية صعب عليهم الا يكون للخليفة الاول لقبا مثل غيره من الخلفاء العباسيين فاتخذوا لقب (السفاح) خاصة وان الخليفة نفسه كان قد نعت به نفسه بمعنى المعطاء وليس الجزار .

واستمر المؤرخون فى اعطاء هذا اللقب الى ابي العباس وحاول بعضهم ان يبرره فقال ابن الجوزى والعيني مثلاً بأن هذا اللقب اطلق على ابي العباس لانه كان يحب سفك الدماء وكان كذلك بليغا فى كلامه[١٥] . والواقع ان الخليفة الاول كان معروفا بصورة عامة بمرونته وحبه للتوفيق

والتساهل ويقول عنه المقدسى انه كان يكره الدماء ، وانه أمر عمه عبدالله ألا يقتل أحدا الا بأذنه .

وقد اضر هذا اللقب من الناحية التاريخية بالخليفة العباسي الاول ذلك لانه قاد الكثير من المؤرخين الى المبالغة فى عزو المجازر والقتول التى قام بها الولاة الى اوامر الخليفة .

اننا نعتقد بأن لقب السفاح لم يكن لقبا رسميا للخليفة ابي العباس فى فترة حياته وانما ابتدعه المؤرخون من بعده . وان الخليفة حين اطلق على نفسه صفة السفاح كان يعني بها المعطاء لا الجزار . وكان للخليفة ابي العباس القابا اخرى فى حياته اطلقها عليه الشيعة العباسية فكان غالبا ما يسمى (الامام) واحيانا (المهدي) والقائم والمهتدي والمرتضى . ويشير القلقشندي[١٦] الى ذلك فيقول « لقد اختلف فى لقب ابي العباس فقيل القائم والمهتدي والمرتضى وغلب عليه السفاح لكثرة ما سفح من دماء بني امية » ويؤيد هذا الرأي هلال الصابىء[١٧] . على اننا ندرك بأن كلا المؤرخين متأخرين . بينما نلاحظ روايات فى اخبار العباس والنبذة تشير الى ابي العباس فتقول « هذا المجلى عن بني هاشم القائم المهدي ... » . ويشير المسعودي الى ان ابا العباس « لقب اولاً بالمهدي » حين بويع بالخلافة . ويؤكد صاحب كتاب اخبا رالدول المنقطعة بأن لقب أبي العباس هو « المرتضى » ويشير الى ان السفاح هو عبدالله بن علي عم الخليفة بسبب مجازره فى الشام وتتبعه الامويين وقد قال فيه الشاعر :[١٨]

وكانت امية في ملكها تجور وتظهر طغيانها
فلما رأى الله ان قد طغت ولم تطق الارض عدوانها
رماهم بسفاح آل الرسول فحزَّ بكفيه اذقانها

وهكذا فان صاحب كتاب اخبار الدول المنقطعة يؤيد المقدسى فى نسبة هذه الابيات الى عبدالله بن علي ويعارض رواية الكوفي .

ولا يخفى ما لهذه الالقاب من خصائص دينية تتصل بنبوءات الملاحم والجفر . وقد استغل العباسيون كثرة سقوط السُدم والكواكب في السنوات الاولى من حكمهم وربطوها بالنبوءات والروايات عن مجيىء المنقذ المنتظر الذي سيملأ الارض عدلاً مؤكدين ان هذا المنقذ هو عباسي النسب . وظهرت أحاديث كثيرة نسبت الى الرسول (ص) وكلها ذات دلالات دينية سياسية تشير الى المنقذ المنتظر ومن هذه الاحاديث عن الرسول (ص) : « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاءه حسياً » . وفي حديث آخر « منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي .... » وفي حديث آخر عن عبدالله بن عباس « منّا أهل البيت أربعة : منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي[١٩] . »

والمعروف في تاريخ العصور الوسطى سواء في اوربا المسيحية أو الشرق الاسلامي ان اسطورة المنقذ المنتظر الذي سيرسله الله ليقضي على الجور كانت وعداً أكيداً متوقعاً لا يختلف عليه الرأي . وان النبوءات التي عبرت عن هذه الآمال والتوقعات كانت متداولة في كتب الملاحم والجفر التي استغلها الحكام والاحزاب المعارضة في التأثير على العامة من الناس . وفي كتابه عن الملاحم الاوربية في العصور الوسطى يقول نورمان كوهن كانت الرعية تحاول ان ترى في كل حاكم جديد ذلك الامبراطور المنتظر الاخير الذي سيكون عصره « العصر الذهبي » المتوقع ... وفي كل مرة تنتهي التجربة بالخيبة التي لابد منها وعندئذ يحاول الناس أن يتصوروا الحاكم الجديد منقذاً حقيقياً وهكذا .... ولم يكن هناك على الاطلاق أي نقص في الحكام الذين يستغلون هذه التنبؤات والآمال من قبل الرعية مع اختلاف فيما بينهم في درجات الاخلاص أو الاستهزاء والتهكم .

ولم يكن تاريخ الشرق الاسلامي ليختلف عن تاريخ اوربا المسيحية

في هذه الظاهرة • فلقد ظهر الكثير ممن ادعوا دعـوة المنقـذ المنتظر أو المهدي الذي جاءت به النبوءات في الملاحم والجفر والاحاديث • ولـم تقتصر هذه الدعوى على حكام أو خلفاء بل شـملت رجـال دين وثـوار معارضين للحكم القائم • وليس يهمنا هنا أأن نتطرق الى المهدي والمهدية والسفياني واسفيانية ولا الى التميمي أو القحطاني أو الخ ولكننا نقـول بأن هذه الفكرة كانت شائعة منذ القرن الاول الهجري تبناها النظام الاموي القائم وكذلك أحزاب المعارضة وخاصة الشيعة العلوية • فكان عمر بن عبدالعزيز مهدياً بالنسبة الى انصار الامويين بينما دعى المختار الثقفي الى المهدي العلوي (محمد بن الحنفية) • وقامت الثورة العباسية فاستغلت النبوءات وفكرة المهدية ووجهت انتباه الناس الى الرايات السود التي ستخرج من المشرق يقودها المنقذ (ابن الحارثية) الذي لا ترد له راية • وقامت المعارضة العلوية والاموية ضد العباسيين فنادت الاولى بالمهدية ونادت الثانية بالسفيانية • وظهر مهديّون علويون عديدون وسفيانيون امويون كثيرون خلال العصر العباسي الاول • ولقد كانت فكرة المنقذ المنتظر هذه خطراً كبيراً على العباسيين ذلك لانها جذبت الناس المعدمين والضعفاء سواءٌ كانوا ذوي ميول علوية أم غير علوية حول الثوار الذين ادعوا المهدية أو السفيانية باعتبارهم سينقذون هؤلاء المعدمين من حالتهم التعسة • ولقد كانت هذه المحاولة بارعة من قبل الثوار ذلك لان الطبقات الفقيرة في المجتمع الاسلامي فقدت رجاءها في الثورة العباسية والمنقذ العباسي بصورة عامة وأخذت تنظر الى حركة جديدة ومنقذ جديد لتنقل أملها الموعود اليه فكان محمد النفس الزكية ذلك المنقذ العلوي الجديد وكان أبو محمد السفياني ذلك المنقذ الاموي الجديد • وعلى ذلك فاننا يجب أن ندرك بأن الكثير ممن انخرطوا في صفوف محمد او السفياني نظروا اليهما كمنقذين جديدين أكثر من نظرتهم اليهما كعلوي أو أموي أحق من العباسيين بالخلافة •

وكان على العباسيين بطبيعة الحال أن يجابهوا هذه الدعاوى بدعاوى مثلها من الناحية الفكرية وبقوة السلاح من الناحية العملية • ففي المجال النظري ابتدعوا ألقاب المنصور والمهدي العباسي والهادي وكلها ألقاب ذات مغازي دينية ـ سياسية كما سنرى قريباً[21] •

لقب المنصور :

وهو اللقب الذي اتخذه الخليفة العباسي الثاني عبدالله بن محمد • ولم يتخذ الخليفة هذا اللقب الا بعد ان قضى على أخطر ثورتين علويتين فى الحجاز بقيادة محمد النفس الزكية (المهدي العلوي) وفى البصرة بقيادة ابراهيم بن عبدالله المحض •

ولا يعني هذا اللقب ما يذكره فان فلوتن « الشخص المنتصر دوماً » فحسب بل ان له دلالات دينية وسياسية مهدوية وتنبؤية والقصد منه بالضبط « الشخص الذي أعانه الله تعالى على احراز النصر » ولذلك فهو على نفس نمط الالقاب المهدوية الاخرى كالسفاح والامام والمهدي والهادي •

وقد اعتبر الخليفة المنصور دون شك المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وأصبح بعض الرواة يشيرون الى بني المنصور بدلا من بني العباس وكان من الامتيازات المهمة للخليفة أن ينحدر فى حسبه ونسبه من المنصور الباني[22] • ويوصف المنصور بأنه أوجد أشياءاً كثيرة فى الدولة لم تكن موجودة قبله[23] • ويشير ابن دحيه فى النبراس « المنصور أول خليفة لقب نفسه وهو أبو الخلفاء الى اليوم »[24] • ويؤيد الاستاذ حسن الباشا طبيعة هذا اللقب آنفة الذكر فيقول « انه ورد ضمن ألقاب المنصور فى نص تشييد قرب اذربيجان وهو يشير الى ان صاحبه مؤيد من الله لان النصر من عند الله »[25] •

وللقب المنصور أهمية كبيرة كما وان له جذور تاريخية عريقة تعود

الى صدر الاسلام والجاهلية • ذلك لان هذا اللقب كان معروفاً في جنوبي الجزيرة العربية منذ القدم وتذكره الروايات والملاحم بأنه المنقذ الاسطوري الذي ينتظره الناس والمسمى « القائم المنتظر » ، الذي سيخرج لينشر العدل • ويستطرد نشوان الحميري(٢٦) في كلامه عن المنقذ فيقول بأن لكل جماعة مهديها فلليهود منقذها من آل داود وللمسيحيين منقذهم وهو عيسى بن مريم وللمجوس منقذها من ابناء بهرام كور الذي سيعيد الدين الفارسي القديم وللشيعة فرق متعددة كل يدّعي أن له مهدي خاص به • وللحميريين منقذهم الحميري الذي « سيعيد مملكة حمير بالعدل » ويذكر الهمداني(٢٧) بأن «منصور حمير» يسكن في جبل دامغ وسيخرج في وقته المناسب لـه •

ورغم ان هذه المصادر متأخرة الا انها تعتمد على روايات قديمـة وملاحم شعبية شائعة ومنها يتبين بأن لقب المنصور ذو دلالات دينية تنبؤية تشير الى المنقذ المنتظر في الاساطير العربية القديمة وهذا المنقذ يظهر بأسماء مختلفة مثل : منصور اليمن ـ منصور حمير ـ والقحطاني المنتظر الذي سيعيد مجد جنوب اليمن المندثر •

اما في الفترة الاسلامية فقد استعمل هذا اللقب في ثورات كثيرة ضد الامويين ففي ثورة المختار الثقفي في الكوفة سنة ٦٦ هـ/سنة ٦٨٥ م كان شعار الاتباع أثناء القتال « يا منصور أمت » أي اقتل • وفي ثورة عبدالرحمن بن الاشـعث ٨١ هـ/٧٠٠ م الذي كان من ألقابـه الشائعة « القحطاني » و « المنصور عبدالرحمن » •

وفي سنة ١٢١/سنة ٧٣٩ حث شيعة العلويين زيد بن علي على الثورة قائلين له انهم يأملون أن يكون (المنصور) وان الوقت قد حان لتكون على يديه نهاية الامويين(٢٨) •

وأهم من هـذا كلـه فان أحـد شـعارات ثورة رمضـان العباسـية

١٢٩ هـ/٧٤٧ م كانت « يا محمد يا منصور » • ومحمد هذا هو محمد بن علي بن عبدالله بن العباس [٢٩] •

وهكذا فان اتخاذ الخليفة أبي جعفر للقب المنصور كان فى محله من حيث طبيعته التنبأية المهدوية التي تمس أحاسيس الجماهير وخاصة القبائل اليمانية ويجعلها تتوهم بأنه هو المنصور حقاً الذي سينشر العدل ويعيد الأمن والرفاهية وان ما ادعاه محمد النفس الزكية من انه المهدي باطل من اساسه والا لما استطاع المنصور أن يقضي على المهدي[٣٠] !!

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان ادعاء ابي جعفر بأنه المنصور أو اتخاذه هذا اللقب يعطي برهاناً مهماً على الطبيعة العربية للثورة العباسية وعلى اعتماد الدعاة العباسيين على القبائل العربية وخاصة اليمانية من أهل خراسان • فلو ان الدعاة العباسيين لم يدركوا أهمية العرب الخراسانية لما استعملوا شعار يا محمد يا منصور الذي له علاقة كبيرة بالقبائل اليمانية[٣١] ، كما وان اختيار الخليفة لهذا اللقب بالذات يدل على ادراك خلفاء العصر العباسي الاول لاهمية العرب وخاصة اليمانيين منهم واعتمادهم عليهم وربما تفضيلهم على القيسية فى أحيان كثيرة كما تدل على ذلك رواية فريدة في تاريخ الموصل[٣٢] • وليس من شك فان هذا يدحض آراء بعض المؤرخين القائلة بأن العصر العباسي الاول كان عصر النفوذ الفارسي الذي زال فيه تأثير العرب •

وأخيراً فان شعر أبو دلامة فى المنصور حيث يقول[٣٣]

وقدموا القائم المنصور رأسكم فالعين والانف والاذان فى الرأس

وكذلك شعر الحميري فى المنصور حيث يشير اليه قائلاً :[٣٤]

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة

ان سوار بن عبدالله من شر القضاة

هذه الاشعار تؤكد الصبغة الدينية المهدوية للقب المنصور ولا تترك

مجالاً للشك فيها .

كما ظهرت أحاديث منسوبة الى الرسول (ص) تشير الى المنصور منها : « منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي .... واما المنصور فلا ترد له راية ... »[٣٥] .

لقب المهـدي :

وهو اللقب الذي اتخذه محمد بن عبدالله الخليفة العباسي الثالث . وقد لقبه بهذا اللقب أبوه الخليفة المنصور . وكان اطلاق هذا اللقب على محمد أحد الاساليب التي اتبعها المنصور لاعلاء شأن ابنه كولي للعهد .

وقد لعب لقب المهدي دوراً كبيراً في تاريخ الاسـلام الـديني - السياسي[٣٦] منذ بداياته الاولى فقد اطلقه حسان بن ثابت على الرسول (ص) حين رثاه قائلا :

ما بـال عينك لا تنـام كأنمـا   كحلت مآقيهـا بكحـل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً   يا خير من وطىء الحصُ لا تبعد

كما أطلق على الامام علي بن ابي طالب لقب « الهادي المهدي »[٣٧] .
وحين مدح الفرزدق سليمان الاموي قال :

سـليمان المبـارك قـد علمتـم   هو المهـدي قد وضـح السبيل

وكان عمر بن عبدالعزيز يلقب « بالمهدي » . كما نعت هشام الاموي بهذا اللقب في الشعر :

فقلت لـه الخليفة غـير شـك   هو المهـدي والحكم الرشـيد

وليس هنا محل بحث تطور المهدية تاريخياً وعقائدياً على اننـا نود القول بان المهدية بمعناها الديني التنبؤي ظهرت لاول مرة عند الشيعة العلوية في ثورة المختار الثقفي الذي ادعى أن محمد بن الحنفية هو المهدي وانه لم يمت بل اختفى في جبل رضوى في الحجاز وسيعود ليقضي على أعدائـه

ويملأ الارض عدلاً كما ملئت جوراً ولذلك سمي «بالمهدي المنتظر» وفي هذا يقول كثير عزة عن ابن الحنفية :

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

وهذه هي عقيدة الكيسانية من فرق الشيعة • على ان المهدية لم تكن مقتصرة على فرق الشيعة العلوية الحسينية والحسنية والكيسانية الهاشمية بل شملت الكثير من الكتل السياسية والجماعات في المجتمع الاسلامي. فكان للعباسيين والامويين والطالبيين والفاطمين والفرس منقذهم الذي سيعيد مجدهم ويقر الحق وينشر العدل[٣٨] •

أما أصل كلمة المهدي فهي تعني الشخص الذي هداه الله الى الطريق الحق • أو هداه الله الى الايمان هدىً • ويقول ابن الاثير وابن منظور « المهدي الذي هداه الله الى الحق وقد استعمل في الاسماء حتى صار كالاسماء الغالبة وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله (ص) انه يجيء آخر الزمان »[٣٩] • وهذا يدل دلالة واضحة على مغزاها الديني التنبؤي •

ويشير الدكتور الوردي الى ان كلمة المهدي هي في الواقع تقريب للفظة المسيح الموجودة في التوراة • فالمسيح معناه الممسوح أي انه ذلك البطل المنقذ الذي يمسحه الاله ، والمسح في التوراة معناها الهداية والارسال والتأييد الرباني • وتشير التوراة الى ان النبي الياس الذي رفع الى السماء والذي لابد أن يعود الى الارض في آخر الزمان لاقامة دعائم الحق • وهذا القول يشبه الى حد كبير فكرة المهدية في الاسلام[٤٠] • ويتفق أغلب المؤرخين المحدثين مع هذه النظرة في أصل المهدية •

ومما يتصل بفكرة المهدية أو المنقذ المنتظر هو تطلعها نحو المستقبل وتظهر رواياتنا التاريخية عن الشرق الاسلامي أو اوربا في العصور الوسطى

ان بدايات القرون أو الحقب كان لهـا دائماً سحر خاص يغري بالتطلـع وينبأ بحدوث تبدل • فكان الناس يحاولون فى هذه الفترات ان يتنبؤا أو يتصوروا تغير الاحوال الى الطريق الاحسن الذى يجبان تكون عليه وكان هناك دوما من يستغل هذه المشاعر لدى الناس فيكسبولائهم•الى حين يحقق أغراضهسواء كانهذا المستغل الطموح حاكما أم ثائراً على الحكمأو رجلدين أومغامر أو مصلح • والمثل الذى سنبحثه فى دراستنا هذه هيمحاولة الخليفة المنصور ضمان ولاء الرعية الى ابنه وولي عهده محمد بعد ان تصير الخلافة اليه وكان هذا هو السبب الحقيقي وراء تلقيبه « بالمهـدي » ذلك اللقب الديني الذي يجذب الناس ويغريهم بالتطلع الى خلافة المهدي باعتبارهـا الامل المنشود والحكم الافضل •

ولم يكن لقب المهدي هذا جديد حتى بالنسبة للعباسيين فقد كان ، كما رأينا ، أحد ألقاب أبي العبـاس وكذلك أشـار أحـد الشعراء الى ابي جعفر المنصور على أنه المهدي حين هجا أبا مسلم قائلاً :

أفي دولة المهدي حاولت غـدره الا ان أهل الغدر اباؤك الكرد

على أن هذا اللقب لم يكن شائعاً بين ألقاب كلا الخليفتين السابقين •

وتشير أحاديث كثيرة ان توقع ظهور المهدي ازداد بعد انتصـــار الخراسانية أصحاب الرايات السود حيث سيخرج ليملأ الارض عدلاً بعد كثرة الظلم والجور • ولاشك فان هذه الاحاديث كانت من وضع العباسيين أنفسهم • على ان عهد ابى العباس كان قصيرا بحيث لم يكن بالامكان انجاز الكثير ، كما وان الرعية لم تر فى الخليفـة •• المنصور بسياسته الحازمـة العنيفة وبعهده الحافل بالثورات ذلك المهدى المنتظر بل على العكس فـان جماعات كثيرة انضمت الى محمد النفس الزكية املاً منها فى أن يكونالمنقذ الذي طال انتظاره وانخرط قسم آخر فى الحركات الدينيـة ـ السياسيـة الفارسية التىرفعتنفس شعار المنقذ فىشخص أبي مسلم الخراسانىأو غيره•

ولعل الخليفة المنصور أدرك ذلك فنظم حملة دعائية واسعة النطاق

تدعو الى ان ابنه محمد هو المهدي المنتظر • ويشير الاصفهاني الى ان المنصور حث مطيع بن اياس على أن يبتدع حديثاً فى مهدية ابنه وحين جلس المنصور ليأخذ البيعة لابنه قال مطيع « حدثنا فلان عن ان النبي (ص) قال المهدي منا محمد بن عبدالله وامه من غيرنا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً • ثم أقبل مطيع على العباس بن محمد فقال له انشدك الله هل سمعت هذا ؟ فقال نعم مخافة المنصور » • وقابل العلويون هذه الادعاءات بمثلها وحين سمع المنصور بأن محمد النفس الزكية يدعي المهدية قال « كذب عدو الله بل هو ابني »(٤٣) ويظهر ان المنصور كان يعلم في قرارة نفسه بأن ما ادعاه لابنه هو سلاح سياسي ففي رواية للأصفهاني « انه ارسل المنصور الى سلم بن قتيبة وقال له خرج محمد بن عبدالله وتسمى بالمهدي والله ما هو به واخرى أقولها لك لم أقلها لاحد قبلك ولا أقولها لاحد بعدك وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية ولكنني تيمنت به وتفاءلت به » هذا اذا اعتقدنا بصحة هذه الرواية ولعل هذه الرواية من وضع الشيعة العلوية •

وقد استمرت دعاية المنصور لابنه المهدي وقد وضعت احدى الروايات فى فم أحد أعضاء وفد الروم الذي قدم بغداد حيث قال :

« انا نجد فى كتبنا ان الثالث من أهل بيت النبي يملأ الارض عـدلاً كما ملئت جوراً »(٤٥) وتشير أحاديث كثيرة يوردها السيوطي والترمذي وابي داود وابن خلدون الى ان المهدي هذا سيكون عباسياً •

وفى رواية للطبري(٤٦) ان المنصور لما احكم أمر العهد كتب الى عيسى بن موسى يطلب منه التنازل عن ولاية العهد الى محمد المهدي بن الخليفة وقد استعمل نفس التكتيك وأكد على نفس النغمة فقال عن ابنه :

« فوهب الله أمير المؤمنين ولياً ثم جعله تقياً مباركاً مهدياً وللنبي سمياً وسلب من انتحل هذا الاسم ودعا الى تلك الشبهة •• » وطالبه أن

يقر بالامر الواقع ويتنازل للمهدي وحذره بأهل خراسان (أنصار الدولة) اذا هو لم يذعن .

ولقد كانت سني المهدي سني خصب[٤٨] وخاصة السنة الاولى منها فاستبشر الناس خيراً وقالوا ابن عم رسول الله (ص) ونظير أسمه . والظاهر ان المهدي حاول جاهداً أن يبين للرعية بأنه المنقذ المنتظر فأعاد الاموال التي صادرها المنصور وأعفى السجناء السياسيين وزاد من العطاء والارزاق لاهل الحجاز والمرضى وعمرّ الحرمين الشريفين وطارد الزنادقة واهتم بأمر الجهاد ضد الروم ، وفصم ما كان من علاقة بين زياد بن أبيه وبين الامويين واتخذ ٥٠٠ شخص من الانصار كحرس خاص له .

ولم تدخر الروايات التاريخية وخاصة العباسية منها وكذلك شعراء البلاط في اظهار مهدية الخليفة العباسي الثالث . ففي رواية للازري[٤٩] ان أحد صحابة المنصور سأل اسماعيل بن عبدالله القسرى البجلي قائلا : متى يظهر قحطانيكم يا أسماعيل ؟ فقال له : « قد ظهر واني لانتظر أن يركب عنقك وأعناق نظرائك غداً فهو المهدي ولي عهد المسلمين بن أمير المؤمنين ابن اختنا وقد قال رسول الله (ص) ابن اخت القوم منهم » وقد بلغ هذا المنصور فأعجبه جوابه وعينه على الموصل . وفي الشعر أبيات كثيرة في حق محمد المهدي . فقد قال الشاعر بشار بن برد[٥٠] :

الله اصلح بالمهدى فاسدنا ‍‍‍ سرنا اليه وكان الناس قد فسدوا

ويقول :

يا أيها القائم المهدي ملككمو ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ لا يشركنكمو فى حلوه أحد

ويقول :

فرّج المهدي من كرب الضيـ ‍‍ ـق خناقا قاسيته حقبا

مهدي آل الصلاة يقرؤه القـ ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ ـس كتابا دثراً جلا ريبا

اذا أتيت المهدي تسأله ‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍‍ لاقيت جوداً ومحتسباً

ترى عليــه سيما للنبي وان حــارب قوماً اذكى لهم لهبـا.
وقال فيه الشاعر ابن المولى :(٥١)

اغنى قريشاً وانصار النبي ومن بالمسجدين باسعاد واحفــاد.
كانت منافعه في الارض شائعة تترا وسيرته كالمــاء للصادي،
خليفة الله عبــدالله والــده وامــه حــره تنمى بامجاد.
من خير ذي يمن في خير رابية مــن القبول اليهـا معقل الناد.

وقال ابو العتاهية :(٥٢)

اتتــه الخلافــة منقادة اليــه تجــرر اذيــالها
ولم تك تصلح الا لــه ولم يك يصلح الا لهــا
ولو رامهـا أحــد غيره لزلزلت الارض زلزالهــا
ولو لم تطعه بنات القلوب لمــا قبل الله اعمالهــا

وقال بشار ايضا :(٥٣)

قد سطع الامن في ولايتــه وقال فيــه من يقرأ الكتابـا

وقال :

شركت لمهدي الانـام وصالها وراعيت عهداً بيننا ليس بالخذ(٥٤)،

وقال سلم الخاسر(٥٥) :

ومهــدي امتنا والذي حماها وادرك اوتارها

وقال مروان بن ابي حفصة(٥٦) :

احيـا امير المؤنين محمــد سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرع نبعــه من هاشم مد الاله على الانام ضلالهـا

وقد هجا السيد الحميري المهدي العباسي فقال(٥٧) :

تضنا انــه المهـدي حقــاً ولا تقع الامـور كما تظنـا

ولا والله ما المهـــدي الا   امـاماً فضـله أعلى واســـنا

وقد تلقب ثالث الخلفاء الباسين بألقاب أخرى ، لم تكن شائعة منها « السفاح » فقد ظهرت أحاديث تشير الى ذلك منها عن الرسول (ص) « منا القائم ومنـــا المنصور ومنـــا السفاح ... أما السفاح فهو يسفح المـــال والدم .. »[٥٨] ، وعن الرسول (ص) « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حسياً »[٥٩] ولعل هذه الاحاديث ظهرت فى عهد المهدي بالذات أو بعده بقليل وهي دون شك انعكاس لطبيعة المهدي الكريمة المعطاءة ولشدته على الزنادقـــة والشكاك وقتله أياهم فهو سفاحاً للمال وللدم . ويصفه اليعقوبي قائلا :

« كان المهدي سمحاً سخياً كريماً جواداً بالاموال وكان الناس فى عصره على مذهبه واتسع الناس فى أيام المهدي فى معايشهم وكان اذا ركب حملت معه البدر فلا يسأله أحد الا أعطاه بيده فتشبه الناس به . فكان قصده قتل الزنادقة وذلك انهم كانوا قد كثروا .. وكثرت الزنادقـة وفشت كتبهم بين الناس . وكان اول خليفة أمر المتكلمين أن يضعوا الكتب على أهل الالحاد »[٦٠] .

وفى رواية للمسعودي[٦١] ان المهدي صرف كل ما ترك له والده المنصور ومقداره حوالى ١٢٠ مليونا من الدراهم . ويشير الجهشياري أن رئيس بيت المال اشتكى له من عجز الخزينة لكثرة النفقات دون مبرر .

ويعطي الثعالبي[٦٢] لقباً آخر لثالث الخلفاء العباسين وهو (المصطفى المهدي) ولم نعثر على توارد هذا اللقب فى رواية أخرى .

ورغم العداوة البارزة بين الفاطميين والعباسيين فان الفاطميين حـذو حذو العباسيين فى اتخاذ القاب ذات صفة دينية تنبأية وكان أول خلفائهم يلقب بالمهدي .

لقب الهـادي :

وهو اللقب الذى اطلق على رابع الخلفاء العباسيين موسى بن محمـد المهدي • ومعناه القائد الى الطريق الصحيح طريق الهدى بتوجيـــه من الله تعالى •

ولم يكن هذا اللقب جديداً فقـــد كان الامام علي (رض) يلقب بالهادي أو امام الهدى[٦٣] • وقد جاءت كلمة الهادى فى الشعر قبل عهد موسى العباسي حيث قال الشاعر :

نفسي الفداء لاهل البيت ان لهم　　　عهد النبي وسمت القائم الهادي

وقـد عين المهدى ابناه موسى وهارون لولاية العهد من بعده وأجبر عيسى ابن موسى على التنازل • ومن الواضح من تسميتها بأسماء الانبياء انه كان يهدف الى ترشيحهما لولاية العهد • وكالعادة حين قارب عهد المهدي على الانتهاء وحين رشح المهدي ابنه موسى أطلق عليه لقب الهادي وبذلك ليعده لكي يلعب دور المنقذ المنتظر فى أعين النـاس كما لعب هـــو ذلك الدور قبله •

وقد وضعت الاحاديث لتخدم هذه السياسة وتبث الاشاعة بين الناس ولتكسبهم نحو الهادي الجديد • ومن هذه الاحاديث يظهر اسم المهدي على انه الرابع فى الترتيب الزمني • ويرتبهم ابن خلدون كالآتي : السفاح ـ المنصور ـ المهدي ، فى حديث موضوع آخر • وفى المقريزي « ان النبي قال للعباس انه لا يكون نبوة الا كانت بعدهـا خلافة وسيلي من ولدك فى آخر الزمان سبعة عشر منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي وليس بمهدي ومنهم الجموح ومنهـم العاقب ومنهـم الواهن وويل لأمتي كيف يعقرها ويهلكها ويذهب بأمرها[٦٤] » • ان هـذا الحديث الاخير يشـير الى أن المهدي ليس هو المهدي الحق ولعله وضع خصيصاً ليهيىء الاذهان

ويحول عواطف الناس وآمالهم نحو الهادي وهو المهدي الجديد الذى وعد بأن يملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً • ولعل هـذين البيتين يوضحان طبيعة لقب الهادي :

يا ابن الخليفة ان امة احمد تاقت اليك بطاعة اهـواؤها
ولتملأن الارض عدلا كالذى كانت تحدث امـةً علماؤها

وحين بايع المهدي لموسى وهارون أنشد السيد الحميري(٦٥) :

آليت الا امـــدح ذا نـائل من معشر غير بني هاشـــم
اوليتهم عنـدي يد المصطفى ذي الفضل والمن ابي القاسم
فانهـــا بيضاء محمـــــودة جـزاؤها الشكر على العالم
جـــزاؤها حفظ ابي جعفر خليفـــة الرحمن والقـائم(٦٦)
وطاعـة المهدي ثم ابنــــه موسى على ذي الاربة الحازم
وللرشـيد الرابع المرتضـى مفترض من حقـــه اللازم
ملكهم خمسون معـــدودة برغم انف احاسد الراغـم
ليس علينـا ما بقوا غـيرهم فى هذه الامة من حـــاكم
حتى يردوهـــا الى هـابط عليــه عيسى منهـم ناجـم

وقال منصور النميري(٦٧) :

موسى وهارون همـا اللذان فى كتب الاخبـار يوجدان
من ولـد المهـدي مهـديان مــد عنـانين على عنـــان
قـد أطلق المهدي لي لساني وشد ازري ما به جبـــالي

وقال بشار فى المهدى :

قد سطع الامن فى ولايتـه وقال فيـه من يقـــرأ الكتبا
محمـــد مـــورث خلافتـــه موسى وهـارون يتبعان أبـا

وقال أشجع السلمي فى هارون الرشيد(٦٩) :

الي ملك يستغرق المـــال جوده مكارمــــه نثر ومصروفه سكب

ومازال هارون الرضى ابن محمد　　له من مياه النصر مشربها العـذب

ولما ذهب جعفر البرمكي ليصلح أمر الشام قال اشجع السلمي[٧٠] :

فتـــان باغيـــه وطاغيـــه　　جلت امورهما عـن الخطب
قـد جاءكم بالخيل شاربـه　　ينقلن نحوكم رحى الحرب
لم يبـــق الا أن تدور بكم　　قد قام هاديهـا على القطب

وقال ابو العتاهية فى الرشيد[٧١] :

امام الهـدى اصبحت بالدين معنياً　　واصبحت تسقي كل مستمطر ريا
لك اسمان شقا من رشاد ومن هدى　　فانت الذي تدعي رشيداً ومهـديا

ويقـول :

بسطت لنـا شرقا وغربا يد العـلا　　فاوسعت شرقيا واوسعت غربيـــا

ويقـول :

قضى الله ان يبقى لهرون ملكـــه　　وكان قضـاء الله فى الخلق مقضيا
تجللت الدنيا لهـارون ذي الرضا　　واصبح نقفور لهـــارون ذميـــا

ويقول عن امبراطور الروم ؛

اعطاك جزيته وطأطأ خـده　　خدر الصوارم والردى مخدور

من كل هذا ندرك بأن لقب الهادي وكذلك الرشيد كانا من الالقاب ذات المسحة الدينية التنبأية المهدوية • على ان الجهد الذى بذله المهـــدى للدعاية لأبنيه لم يكن كالجهد الذى بذله المنصور ذلك لان الدولة فى عهد المنصور كانت فى فترة التأسيس تعتورها الثورات من كل جهة ولذلك كان من الطبيعي أن يكون رد الفعل العباسي أقوى وأعنف • أما فى عهد المهدي فكانت الدولة قد استقرت وانتعشت • كما وأن شخصية المهـدي المـــرنة وضعفه امام الخيزران أثرت فى تذبذب الآراء وفتور الدعاية •

ولم يعدم هذا العهد من شعراء هاجموا أسلوب ولاية العهد وأساليب العباسيين في كسب عواطف الناس وولائهم ومن هؤلاء ابي الجنوب بن مروان بن سليمان بن ابي حفصة الذي قال في موسى وهارون(٧٢) :

امير المؤمنين اليـــوم موسى وانت غـــداً امـير المؤمنينا
سنختار الخلافة بعـد موسى وان رغمت انوف الحاسدينا
رايت اباك اورثهـا بنيـــه وانت غـــداً تورثهـا البنينا

وقد طلبه موسى الهادي فهرب واختفى في البادية ٠ وهجا دعبـــل الخزاعي بني العباس فقال(٧٣) :

وعاشت بني العباس في الدين عيشة
تحكـــم فيـــه ظـالـم وخـــؤون
وسموا رشيداً ليس فيهم لرشده وها ذاك مأمـون وذاك أمين
فما قبلت بالرشد منهم رعاية ولا لـولي بالامانـــة دين
رشيدهم غاد وطفلاه بعـده بهذا غوى جد" وذاك مجون

لقب الامـام :

وهو اللقب الذي عرف به ابراهيم بن محمد العباسي مفجر الثـورة العباسية حيث كان يدبر أمر الدعوة من الحميمة في حين ارسل ابا سلمة الخلال الى الكوفة وابا مسلم الخراساني وسليمان الخزاعي الى خراسان ٠ ولهذا اللقب دون شك مغزى ديني وتنبؤي ذلك لان معنى الامام هو الهادى الى الطريق القويم وفي القرآن تقول الآية « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا »٠

ولم يعرف عن أحد قبل ابراهيم الامام انه تلقب بهذا اللقب(٧٤) ٠ الا أن هذا اللقب اطلق على المهدي العباسي وهو ولي عهد وخليفة كمـا ورد في سكه سنة ١٥١هـ من بخارى ولكنه لم يكن(٧٥) معروفا بهـــذا اللقب ٠ ولعل أول خليفة عباسي استعمل هذا اللقب بصورة رسمية هـو المأمون(٧٦) ٠ ثم استعمله الخلفاء العباسيون بعد المأمون ٠ ومهما يكن من أمر فالواقع ان الناس ومنهم الشعراء أطلقوا هذا اللقب على كل الخلفـاء العباسيين ابتداءاً من عهد ابي العباس ، بل أن الشعراء أطلقوا القاباً أخرى

مثل (القائم) وغيره على الخلفاء العباسيين ولكن هذه الالقاب لم تنتشر أو تشيع ولذلك لم يُعرفوا بها .

قال غيلان الخزاعي لأبي العباس : « اشهد انك امير المؤمنين وانك حبل الله المتين وانك امام المتقين » .

وقال السيد الحميري فى المنصور(٧٧) :

قل للامام الذى ينجى بطاعته   يوم القيامة من بحبوحة النـار

وحين أجاب ابو العباس طلب السيد الحميري بان رضي عن سليمان المهلبي ذهب اليه وأنشده(٧٩) :

اتيتك ياقرم اهل العراق   بخير كتاب من القـــائم

وقال السيد فى المهدي العباسي فى قصيدة طويلة(٨٠) :

جزاؤها حفظ ابي جعفر   خليفة الرحمن والقـــائم

ومدح سلم الخاسر الهادي فقال(٨١) :

يممت موسى الامام مرتقباً   ارجـــو نداه والخير مطلب

وقال ابو نؤاس يهجو جعفر البرمكي(٨٢) :

عجبت لهارون الامام وما الذى   يرجى ويبغي منك ياخلقه السلق

ومدح ابراهيم الموصلي الرشيد(٨٣) :

اذا ظلـم البـــلاء تجللتنـا   فهرون الامام لهـــا ضـياء
بهرون استقام العـدل فينـا   وغاض الجور وانفسح الرجاء
رأيت الناس قد سكنوا اليه   كما سكنت الى الحرم الضباء
تبعت من الرسول سبيل حق   فشأنك فى الامور به اقتداء

وهجا دعبل الخزاعي المعتصم فقال(٨٤) :

بكى لشـــتات الدين مكتئب صـــب   وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام امـــام لم يكن ذا هـــداية   فليس لـه ديـن وليس لـــه لب

وقال ابو الشيص يرثي الرشيد ومهنئاً الامين(٨٥) :

العين تبكي والسن ضاحكة   فنحن في مأتم وفي عرس
يضحكنا القائم الامين وتبكينا   وفاة الامام بالامس

وقال ابو العتاهية في الرشيد[٨٦] :

امام الهدى أصبحت بالدين معنياً   وأصبحت تسقي كل مستمطر ريا

وقال منصور النميري في الرشيد[٨٧] :

ما استودع الدين من أمام   حامى عليه كما تحامي

وقال آخر[٨٨] :

الله قلّد هاروناً سياستنا   لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا

اما القاب الخلفاء العباسيين من الخليفة الثامن فصاعداً فكانت على نسق واحد وتتكون من صفة يعقبها اسم الله مثل المعتصم بالله والمتوكل على الله والمستعين بالله والخ •• ولم يكن لهذه الالقاب طبيعة مهدوية واضحة وذلك لأن الدولة كانت قد استقرت ومرت بفترة شبابها • ومع ذلك فكان الرواة والشعراء يحاولون اضفاء صفة المهدوية التنبأية الى بعضهم فأطلق على المعتصم مثلا « معصوم امته خليفة الله »[٨٩] •

الخاتمة :

ان الالقاب الرسمية الخاصة لمفجر الثورة العباسية وللخلفاء الخمسة الاوائل في الدولة العباسية كانت ذات طبيعة مهدوية تنبأية • وقد اختارها العباسيون عن قصد ومن أجل هدف • ذلك لأن هذه الالقاب كانت تمس أكثر النقاط حساسية في مشاعر الجماهير وخاصة الضعفاء من الناس الذين كانوا يأملون في وضع أفضل • وكان المهدي أو المنقذ المنتظر بالنسبة لهؤلاء الناس بداية النهاية لحالة الظلم والشقاء وعلامة « للعصر الذهبي » عصر العدالة والرفاهية •

لقد كانت محاولة بارعة من قبل الخلفاء العباسيين لكسب الجماهير

المتشبثة بفكرة المهدي وجذب تأييدها للدولة الجديدة وذلك بتبني هـــذه الالقاب البراقة • وقد ساعد ذلك الى حد كبير على نجاح ثورتهم من جهة وتثبيت اركان دولتهم الفتية من جهة أخرى • وفى كل مرة كان الخليفة الحاكم ينقل ولاء الجماهير ويحول آمالهم وأمانيهم الى ولي عهده وخليفته الذى يعقبه وذلك باختيار لقب جديد له ليكون المنقذ الجديد • حتى قويت الدولة واستقرت أمورها ولم يعد تكتيك الالقاب ضروريا أو لازما فقـــل التأكيد عليه • بل ان العباسيين نسوا أو تناسوا شعاراتهم الثورية القديمـة وتبنوا شعارات جديدة أكثر اعتدالا وأضمن لاستمرار الحكم واستقراره • ولعل هذا أحـد الاسـباب التي تفسر خيبة أمـل الشيعة العباسية وخاصـة المتطرفين منهم الذين ثاروا ضد الدولة العباسية • وراح آخرون يبحثون عن منقذ جديد غير عباسي عله يحقق لهم أملهم المنشود • وكيّف آخرون أنفسهم مثلما أرادت الدولة وانخرطوا يخدمون فى اداراتها المختلفة •

الحواشي :

(١) عن هذه المقالات انظر :

Goldziher "Ombre de Dieu..., R.H.E., 35, 1897. - Margolioth "The sence of the title Khalifah". Idem "On Mahdi Mahdism" P.B.A. 1915. Van Vloten, "Zur Abbasiden Geschichte" Z.D.M.G. 52, 1898. Amendroz, "On the meaning of the Laqab Al-Saffah" J.R.A.S. 1907.

B. Lewis, The Regnal Titles of the First Abbasid Caliphs. I have been able to consult this article by the Kindness of the author.

(٢) عبدالعزيز الدورى ، **العصـر العباسى الاول** ، بغـداد ، ١٩٤٥ • ـ ميخائيل عواد ، لقب السفاح ، **المعلم الجديد** ١٩٤٦ ص ٤١ـ٤٢ • ـ حسن الباشا **الالقاب الاسلامية** •• ، القاهرة ١٩٥٧ •

(٣) القلقشندى ، **مآثر الانافة فى معالم الخلافة** ص ٢١ ، ص ١٩٦٢ •

(٤) ابن وحيه **النبراس** ص ٢٤ ٠
(٥) الصابىء ، **رسوم دار الخلافة** ، ص ١٢٩ ٠
(٦) ابن عذارى ، البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ٠٠ ، ص ٦٣ ٠
(٧) المقريزى ، **خطط** ، حـ١ ص ٢٨٧ ٠
(٨) مخطوطة **تاريخى دولة عباسية** ، ص ٢٠ ب (استانبول ٢٢٦٠) ٠
(٩) أمندروز ، **المصدر السابق** ، ص ٦٦٣ ٠
(١٠) الدورى ، **المصدر السابق** ٠ ــ لويس ، المصدر السابق ٠ــ حسن الباشا ، **الالقاب** ٠٠٠ ، ص ٦٠ ٠
(١١) المسعودى ، **التبيه والاشراف** ، ص ٢٩٢ ٠ ــ الدورى المصدر السابق ص ٦٥ فما بعد ٠
(١٢) ابن اعثم الكوفى ، **الفتوح** ، (مخطوطة) ٠
(١٣) انظر تعليق البروفسور امندروز على كلام خويه فى مقالة الاول آنفه الذكر ص ٦٦٠ فما بعد ٠
(١٤) ابن قتيبة ، **الامامة والسياسة** (منسوب اليه) ٠ــ الزبيرى ، نسب قريش ، ص ٢٩ ٠ ــ مخطوطة أخبار العباس وولده ص ٦٦ أ ٠ ــ اليعقوبى ، **التاريخ** حـ٢ ، ص ٠ ــ اقدسى ، حـ٦ ، ص ٧٣ــ٧٤ ٠
(١٥) ابن الجوزى ، مخوطه تنسب اليه فى .B. M ٠ ــ العينى ، **دولة بنى العباس والطولونين والفاطمين** (مخطوطه) ٠
(١٧) القلقشندى ، **مآثر الانافة** ٠٠٠ ، ص ١٧٠ ٠
(١٧) هلال الصابىء ، ص ١٢٩ ٠
(١٨) **نبذة من كتاب التاريخ للمؤلف المجهول** من القرن الحادى عشر ، ص ٢٥٦ أ ٠ ــ المسعودى ، **التنبيه** ٠٠ ، ٣٣٧ ٠ ــ **اخبار الدول المنقطعة** ٠٠ ص ١٠٣ ب ــ ١٠٥ أ ٠
(١٩) عن هذه الاحاديث وغيرها انظر احمد امين **ضمن الاسلام** حـ٣ ، ص ٢٤٠ ٠
(٢٠)
N. Cohn, The pursuit of the Millennium, London 1962, p. 20.
(٢١) ان الدولة الفاطمية التى نشأت فى افريقيا ومصر ونافست الخلافة العباسية كان لخلفائها ألقابا ذات مغازى مهدوية فكان لقب الخليفة الاول (المهدى) والثانى (القائم) والثالث (المنصور) ٠
(٢٢) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، حـ٣ ص ٢٣٧ ٠ ــ دينورى ، **الاخبار** الطوال ، ص ٣٨٩ ٠

(٢٣) اليعقوبى ، **مشاكله الناس لزمانهم** ص ٥٤ـ٥٥ ٠

(٢٤) ابن دحيه ، ص ٢٤ ٠

(٢٥) حسن الباشا ، ص ٥١٢ ٠ـ Repertoire 1, 43

(٢٦) نشوان الحميرى ، **شمس العلوم** لندن ـ ليدن ١٩١٦ ص ١٠٣ فما بعد ٠

(٢٧) الهمدانى ، **الاكليل** ، بغداد ١٩٣١ ، ص ٧١ فما بعد ٠

(٢٨) B. Lewis, op. cit., p.7 .

(٢٩) انظر الدكتور فاروق عمر الخلافة العباسية ١٣٢ـ١٧٠ (بالانكليزية)٠ الفصل الثانى ٠ بغداد ١٩٦٩ ولنفس المؤلف ٠ طبيعة الدعوة العباسية ، الفصل الثانى والثالث ٠ بيروت ١٩٧٠ ولنفس المؤلف ٠ ابراهيم الامام (دائرة المعارف الاسلامية بالانكليزية والفرنسية) الطبعة الجديدة ٠

(٣٠) لقد اتخذ بعض الثوار لقب المنصور بعد اعلانهم الثورة على السلطان حتى فترة متأخرة من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ومنهم الداعى ابن حوشب الذى اتخذ لقب « منصور اليمن » حين ارسل الى اليمن فى سنة ٢٦٨ هـ ٠ انظر B. Lewis, op. cit., p.8 .

(٣١) انظر الدكتور فاروق عمر تقييم جديد للدعوة العباسية مجلة العرب ١٩٧٠ لنفس المؤلف

The Composition of the early Abbasid support
B. C. A., 1968.

(٣٢) انظر الازرى ، **تاريخ الموصل** ، القاهرة ١٩٦٨ ص ٢١٤ ٠

(٣٣) الاصفهانى ، **الاغانى** حـ ٩ ص ١٢٣ ٠

(٣٤) op. cit. ، حـ ٧ ، ص ١٧ ٠

(٣٥) احمد امين ، **ضمن الاسلام** ، حـ٢ ، ص ١٢٥ـ١٢٦ ٠

(٣٦) عن المهدية انظر : احمد امين ، **المهدى والمهدوية** ، القاهرة ٠ ـ محمد سعد ، **المهدية فى الاسلام** ، القاهرة ٠ محمد بدير متولى ، **من ادب الحركات الفكرية فى الاسلام** ٠ ـ احسان النص **الخطابة السياسية فى العصر الاموى** ٠ ـ علي الوردى ، **وعاظ السلاطين** ٠ ـ الشيبى ، **الصلة بين التصوف والتشيع** ٠ ـ علي سامي النشار **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ٠

(٣٧) تصف روايات عديدة معاوية بن ابي سفيان « بالمهدى » ٠٠ انظر ابن العربى ، **العواصم من القواصم** ٠ ١٣٨٧ جدة ص ٢٠٤ـ٢٠٨ ٠

(٣٨) ادب الشيعة ، ص ١١٠–١٨ ٠ – علي الخربوطلى ، **المهدى العباسى** ص ١–١١ ٠ – احمد أمين ، **المهدية** ص ٤٥ فما بعد ٠ – كامل الشيبى ، **الصلة بين التصوف والتشيع** ص ١١٠ ٠ – علي الوردى **وعاظ السلاطين** ص ٣٨٧ ٠

(٣٩) ابن الاثير ، **النهاية فى غريب الحديث** ، ١٣١١ حـ٤ ص ٢٤٤ ٠ – ابن منظور **لسان العرب** بيروت ١٩٥٥ ، (مادة المهدى) حـ٣ ، ص ٣١٥ ٠

(٤٠) ابن حزم ، **الفصل فى الملل** والنحل ، حـ٢ ، ص ١٨٠ ٠ – الدكتور عرفان عبدالحميد **دراسات فى العقائد والفرق** ص ٢٣–٣١ ٠

(٤١) احمد امين **المهدية** ص ٦ ٠ – سعد **المهدية** ص ٤٨ ٠ – دونالدسون **عقيدة الشيعة** ص ٢٣١ ٠ – الشيبى ، **الصلة** ٠٠ ص ١١٠ ٠ الوردى ، **وعاظ السلاطين** ، ٣٨٧ ٠ – **ادب الشيعة** ص ١١٣ ٠

(٤٢) الاصفهانى ، **الاغانى** ، حـ ١٢ ص ٨٥ ٠

(٤٣) الاصفهانى ، **مقاتل الطالبيين** ، ص ١٦٦ ٠

(٤٤) op . cit ، ص ١٧١ ٠ – انظر كذلك الجهشيارى ، الوزراء ٠٠ ص ١٢٧ ٠ « حين اراد المنصور ان يحاسب كاتب المهدى ابي عبيدالله قال له المهدى : انك ترشحنى لهذا الامر وتروى اننى المهدى ثم تكشف كاتبى عما اجريته على يده ونفذه بأمرى ، فلعلك تنكر شيئا فيقول الناس انه كشف عن خيانة ٠ » جهشيارى ص ١٢٧ ٠

(٤٥) الخطيب البغدادى ، **تاريخ بغداد** حـ ١ ص ٩٢ ٠

(٤٦) يقول احمد امين ان الاحاديث عن المهدى موضوعة بدليل اغفال البخارى ومسلم لها وانما ذكرها الترمذى وابن باجة وابو داود وغيرهم احمد امين ، **ضحى الاسلام** حـ ٣ ص ٢٣٧ ٠

(٤٧) الطبرى ، حـ ٣ ص ٣٣٨–٣٤١ ٠

(٤٨) الجاحظ ، **رسائل** ص ٧٧ ٠ – الاصفهانى ، **الاغانى** ، حـ ٣ ص ٩٤ ٠ – اليعقوبى ، **شاكله الناس** لزمانهم ص ٥٥–٥٦ ٠

(٤٩) الازرى ، **تاريخ الموصل** ، ص ٢١٤ ٠

(٥٠) ديوان بشار حـ ٢ ص ٢٨٦ فما بعد ٠

(٥١) الاصفهانى ، **الاغانى** حـ ٣ ص ٩٤–٩٥ ٠

(٥٢) op . cit حـ ٣ ص ١٤٣ ٠

(٥٣) **ديوان بشار** حـ ١ ص ٣٣٠ ٠ وهجا بشار بن برد المهدى العلوى محمد النفس الزكية وسماه الدعيّ فقال :

ان الدعيّ يعادينا لنلحمه   بالمدعين ويلقانا بالحاد

(ديوان بشار ص ٣٠٠)

ولكن بشار هذا نفسه نقل ولائه الى النفس الزكية بعدئذ وهجا المنصور فقال :

ابا جعفر ما طول عيش بدائم   ولا سالم عما قليل بسالم
على الملك الجبار يقتحم الردى   ويصرعه في المأزق المتلاحم

ولما خاف من بطش المنصور بعد فشل ثورة النفس الزكية غير اسم « ابا جعفر » فى القصيدة الى « ابا مسلم » وغير اسم « سلامة » ام المنصور الى « وشيكة » ام ابي مسلم .

(٥٥) op . cit حـ ٢١ ص ١٢٥ .

(٥٦) احمد فريد رفاعى ، **عصر المأمون** ص ٢٩٤ .

(٥٧) العاملى ، **اعيان الشيعة** حـ ١٢ ص ١٧٨ . — اما نؤاس فالظاهر ان الفكرة لم تكن تعجبه فقد قال :

وعلامات ستأتي قبله   حمة اولها سكر النهر
ويليهم رجل من هاشم   اقتص الناس جميعا للحمر
وقال : فاتبعوه حيثما صار بكم   ايها الناس وان طال السفر

(البيان والتبين حـ٢ ص ٢٢٨)

(٥٨) احمد امين ضحى الاسلام حـ ٢ ص ١٢٥ .

(٥٩) المقريزى ، خطط حـ٢ ص ١٥ .

(٦٠) اليعقوبى ، **مشاكله الناس** ص ٥٥ـ٥٦ . — اما القلقشندى فيقول عنه « انه كان عادلا فى خلافته حتى يقال فى بنى العباس كعمر بن عبدالعزيز فى بنى امية ... » مآثر الانافه ص ١٨٥ .

(٦١) المسعودى ، **التنبيه والاشراف** ص ٢٤٢ .

(٦٢) الثعالبى ، **لكاشف المعارف** ص ٧٢ .

(٦٣) الاصفهانى ، **الاغانى** حـ٧ ص ١٣ ، ١٦ ، ٢٣ .

(٦٤) السيوطى ، اخبار الخلفاء حـ٢ ص ١٠١ . — ڤان ڤلوتن **للسيادة العربية** ص ٢٢٣ فما بعد ، — احمد امين ، **ضحى الاسلام** حـ٢ ص ١٢٥ فما بعد .

(٦٥) الاصفهانى فى الاغانى حـ٧ ص ١٤ .

(٦٦) لقد اطلق بعض الشعراء لقب (القائم) على الخليفة المنصور وغيره من العباسيين ، الا ان هذا اللقب لم يكن شائعا بين الخلفاء العباسيين الذين لم يعرفوا به ، وقد شاع هذا اللقب بين الشيعة العلوية حيث وعد الامام جعفر الصادق اتباعه بالامامة والخلافة العلوية على يد الامام السابع (القائم) . وكان لقب القائم من الالقاب الشائعة لدى الاسماعيلية . انظر :
Ivanow, Isma'ili Tradition London 1942.

(٦٧) **الاغـاني** حـ١٢ ص ١٧ ٠
(٦٨) **ديوان بشار** حـ١ ص ٣٣٠ ٠
(٦٩) **الاغـاني** حـ ١٧ ص ٣١ ٠
(٧٠) **الاغـاني** حـ١٧ ص ٣٤ ٠
(٧١) **الاغـاني** حـ ١٧ ص ٤٤ ٠
(٧٢) **الثعالبي** ، لكاشف المعارف ص ٧٢ ٠
(٧٣) **ديوان بشار** ص ١١٣ ٠
(٧٤) عدا الامام علي بن ابي طالب خاصة والخلفاء الراشدين عامة (رض) حيث جرى العرف على اطلاقه عليهم ٠ (**ديوان دعبل** ، ص ١٠٢) ٠
(٧٥) الالقاب الاسلامية ، ص ١٦٨ ٠
(٧٦) المسعودى **مروج الذهب** حـ٣ ص ٢٣٩ ٠
(٧٧) الطبرى ، حـ٣ ، ص ٦٤ ٠
(٧٨) الاصفهانى ، **الاغـــاني** حـ٩ ، ص ١٢٣ ٠ حـ٧ ص ١٤ ٠ ـ حيث يوصف المنصور بالقائم ٠
(٧٩) العاملي ، **اعيان الشيعة** حـ ١٢ ص ١٧٣ ٠
(٨٠) **الاغـاني** حـ ٧ ص ١٤ ٠
(٨١) المهشيارى ، **الوزراء والكتاب** ، ص ١٧٣ ٠
(٢٨) ابن قتيبه ، **الشعر والشعراء** ص ٥١٦ ٠
(٨٣) **الاغاني** حـ٥ ص ٢٤ـ٢٥ ٠
(٨٤) **ديوان دعبـل** ص ١٢٩ـ١٣٠ ٠ ـ ابن قتيبـه ، **الشعر والشعراء** ، ص ٥٤٠ ٠ **الاغاني** حـ١٨ ص ٤٠ ، ٤٦ ٠
(٨٥) **الاغاني** حـ ١٥ ص ١٠٨ ٠ ـ **الشعر والشعراء** ص ٥٣٥ ٠
(٨٦) **الاغاني** حـ ١٧ ص ٤٥ ٠
(٨٧) **الشعر والشعراء** ص ٥٤٨ ٠
(٨٨) الطبرى ، حـ٣ ، ٦٥٣ طبعة ليدن
(٨٩) **لطائف المعارف** ص ٧٢ ٠